الوبا في السماع وهو ان ترى من نفسك حالا ليست فيك شرس ان تعانيه بلا رسنه او نحو ذلك
فان قلت الافضل هو الذي لا تحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره او الذي يظهر عليه فاعلم ان عدم الظهور
تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لكمال
القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال
كلها فلا يبين للسماع مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم
وجده فمن هو في وجده دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال
ولا يبعد ان يكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه هكذا كنا حتى قست القلوب معناه قويت قلوبنا
واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع معاني القران على الدوام
فلا يكون القران جديدا في حقنا طاريا علينا حتى نتاثر به فاذن قوة الوجد تحرك وقوة العقل
والتمسك تضبط الظواهر وقد يغلب احدهما الاخر اما لشدة قوته واما لضعف ما يقابله
ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظن ان الذي يضرب بنفسه على الارض اتم وجدا من الساكن
باضطرابه فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء اشارة الى ان القلب
مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متادبة في الظاهر ساكنة وقال ابو الحسن محمد
ابن احمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته تغير عند شيء كان يسمعه
من الذكر او القران فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الاية
فرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سالته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا
وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم وكان من اصحابه
فقال قد ضعفت فقيل له فان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال الا يرد عليه وارد الا وهو
يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر
مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن سهل انه قال حالي قبل الصلاة
وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله في كل حال فكذلك يكون قبل السماع
وبعده اذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته
كما روي ان ممشاد الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم
فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي وقال الجنيد لا يضر
نقصان

١٤٥

نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد فان قلت فلم هذا لم يحضر السماع
ان من يقول لا من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا مساعدة لاخ من الاخوان وادخالا للسرور
على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط
الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم وان اتفق حضورهم
مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون في
غير سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس وبعض من نقل عنه ترك السماع
ويظن انه كرهه كان سبب تركه استغناؤه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد
ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا
يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من
الادب الرابع ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص
او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراءاة لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب
في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت
عائشة الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عائشة في بعض
الروايات وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا لما ورد عليهم سرور اوجب ذلك
وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة
رضي الله عنهم فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني وانا منك
فحجل علي وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد
انت اخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لان خالتها تحته
والخالة والدة وفي بعض الروايات انه قال لعائشة اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة
والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان
فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح وان كان
مذموما فهو مذموم نعم لا يليق ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه في الاكثر
يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب في اعين الناس ينبغي ان يجتنبه المقتدى
به لئلا يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتداء به واما تخريق الثياب فلا رخصة فيه
الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري

Copyright © King Saud University